

سورية وبنانه

قَدَم اسميهما

بقلم الاب لامس اليسوعي

في ٢٠ شباط الفائت ، القينا في ردهة كلية القديس يوسف ، محاضرة عددنا فيها انضال لبنان على سورية من حيث المياه والري ، والمناخ ، وعنصر السكان . ثم لحصنا تاريخ اسم «لبنان» وبيننا انه يظهر مرات عديدة في الرقوم الحثية ، والبابلية ، والاشورية ، والمصرية ، سواء كانت تلك الرقوم محفورة في الآبر او منقوشة على الصخور وكلوسا مستندات رسمية صادرة عن اقدم حكومات العالم المتسدين قلنا عنها وتسنذ انها شهادة عريقة في القدم بل وثيقة ترتقي الى النبي سنة قبل المسيح . واثرنا بعد ذلك الى اتساع لبنان الجغرافي في تلك العصور . ثم ستسنا قائلين : لم يُخترع «لبنان» اعتباطاً ، وهو ليس بدعي يتطلب نبأ وتاريخاً قديماً . . .

فتلقت الصحافة تلك المحاضرة ، ونخاضت في الموضوع كما شئت . وكان ان بعض الصحفيين ، من غير ان ينكروا قَدَم لبنان ، رأوا من اللازم الملاحظة ان سورية تعادله قَدَماً . . . وهي ملاحظة من نوع ما يُسنى « بدفع الباب المتروح » . . . لاننا لم نتكلم قط عن قَدَم لبنان الجغرافي او الجيولوجي - وهو موضوع صياني - بل عن قَدَم لبنان اللغوي اي قدم اسم «لبنان» .

واسم «لبنان» كان معروفاً وجارياً في جميع بلدان الشرق الادنى ، قبل ان يُخلق اسم «سورية» بعشرة قرون على اقل تعديل . وما قد يجمله من انتقدنا من الصحفيين ان اسم «لبنان» اسم وطني . اما «سورية» فاسم اجنبي من صادرات بلاد اليونان ، وهم اشهر من اصدر الاعلام الجغرافية . وكذلك نحن مدينون لهم

باسم «انتي - لبنان» الذي نعتوا به سلسة لبنان الشرقية.

بقي الكلام في اصل كلمة «سورية» ، فنقول انها ليست سوى تقل اللفظة اليونانية *Συρία* بالحروف العربية ، واللفظة اليونانية نفسها اختصار للكلمة *Ἀσσυρία* . اما هذا الاسم الاخير فيذكرنا بالصور التي كانت فيها سورية جزءاً من مملكة الاشوريين . وهكذا فان بحارة اليونان الاقدمين لما وصلوا الى شواطئ بلادنا ورأوها خاضعة لسلطة ملوك اشور ، سمّوها «سورية» ثم اختصروا فقالوا «سورية» .

فترى اذاً ان هذا الاسم غير عربي في القدم . فان التوراة لا تذكره قطعاً بل هي تسمي سورية بلاد آرام . واننا نفتش عبثاً عن اسم سورية في ما تقدم احتلال الاسكندر الكبير من الاسفار المقدسة . وكذلك هرميوس وهيرودس (القرن العاشر والتاسع ق.م) فانها يجعلان هذا الاسم ، مع ان هرميوس ذكر الفينيقيين واثني عليهم . اما اول مؤلف ذكر اسم سورية فهو الشاعر اشيل (القرن الخامس ق.م) ، على ان هذا الاسم لم يكن مضمونه مميّزاً عن مضمون اسم «سورية» فكان كلاهما يدلان على المملكة الاشورية ثم على بلادنا التي كانت جزءاً منها . وبعد الاسكندر الكبير اخذ اسم «سورية» المختصر بالتميز على الازل فاستعمله الكتاب اللاتين وانتشر .

ولكن لم يتقرر مضمونه تماماً الا منذ السنة ٦٤ ق.م . وهي السنة التي احتل فيها الرومانيون بلادنا فاحقوها بامبراطوريتهم ، فعدا اسم «سورية» يدل على المناطق الواقعة ضمن حدود البحر المتوسط ، وجبل طرس ، ونهر الفرات ، ما عدا بلاد فلسطين وبنيقية اي سلسلي لبنان . وظل هذا الاسم مستعملاً حتى اليوم .

فيتج مما تقدم ان اسم «سورية» اصغر عمراً من اسم «لبنان» بالقي سنة على الاقل .